Issn: 2572-0023

دور العرب والعمانيين في نشر الإسلام بالصين بين القرنين (1-5هـ/7-11م)

د/مسعود خالدي
جامعة 8 ماي 1945 بقالمة

الملخص:

دخل الإسلام للصين عن طريق الدعاة والتجار والبعثات السياسية والعسكرية. فقد وردت لنا معلومات قيمة عن الموضوع من السجلات الصينية أو المراسيم ومكنتنا من الاطلاع عليها دراسات بعض المؤرخين الغربيين وأعمال الصينيين المترجمة مثل بدرالدين الصيني وشيفر ورينودو وديبري وأرنولد توماس. أما المصادر العربية فأشهرها كتاب أخبا رالصين والهند لسليمان التاجر وابن أبي زيد حسن السيرافي ومروج الذهب للمسعودي والكامل في التاريخ لأبن الأثير.

ومن أشهر الصحابة الـذين ذكرهم الصينيين في تواريخهم سعد بن أبي الوقاص وحمزة عم الرســول ﷺ حيث كان لهما فضل في نشر الإسلام بالصين . وتبقى رواية دخولهما يشوبها الشك لأنهما لم يصلا قط للصين حسب المصادر العربية. ورغم ذلك هذا يدل على تواجد المسلمين بالصين منذ القرون الأولى للإسلام.

وأول بعثة ديبلوماسية رسمية أرسلها العرب للصين كانت في عهد عثمان بن عفان سنة30هـ/ 651م ويعتبره البعض أول إشارة للوجود الإسلامي بهذا البلد. ولم يستطيع قتيبة بن مسلم من مواصلة الفتوحات العسكرية بالصين واكتفى بإرسال مبعوث للإمبراطور يطلب منه الدخول للإسلام.

ودخلت أعداد كبيرة من المسلمين بعد ذلك منهم الشيعة الذين هربوا من بطش الأمويين لهم، والبعثة العسكرية التي أرسلها أبو جعفر المنصور لنجدة إمبراطور الصين سو تسنغ حيث أستعاد ملكه.

أما اتصال العرب والعمانيين بالصين عن طريق البحر كان قديما. وكان التاجر العماني عبيد الله بن القاسم أول من دخل إليها. وأستطاع العرب والمسلمين من عمانيين ويمنيين وفرس تشكيل جاليات إسلامية كبيرة في معظم مدن الصين مثل خانقو أو كانتن وشيان. ورغم هذا التواجد الكثيف إلا أن الإسلام لم ينتشر انتشارا واسعا بالصين وبقي محصورا في فئة الوافدين والقبائل ذات الأصول التتارية بغرب البلاد بسيكيانج.

Résumé

L'Islam est entré en Chine à travers des prédicateurs, des marchands, des missions politiques et militaires. Des informations précieuses sur le sujet nous a été tramsmises pars des documents chinois. Certaines études des historiens occidentaux nous a permis de les consulter telles que le livre du chinois Badreddinne traduit par Scheffer Rinodo, Debré et Thomas Arnold. Tandis que Les sources connues sont nombreuses telle que que le livre du marchand Saleiman et Ibn Abi Zayd Hassan séraphi et el Messaoudi .

Parmi les plus célèbres compagnons du prophétes (essahaba) cités par les Chinois dans leurs histoires Saad ibn Abi Waqqas et Hamza, oncle du Prophète où ils ont joué un role important à la propagation de l'islam en Chine.Mais L'histoire de leur entrée reste douteuse car ils n'ont jamais atteint la Chine, selon des sources arabes. Cependant, cela indique la présence des musulmans en Chine depuis les premiers siècles de l'Islam.

Le premier missionnaire diplomatique envoyé par les Arabes en Chine était à l'époque de Othman ibn Affan année 30 AH / 651 AD Certains considèrent c'était le premier signal de la présence musulmane dans ce pays. Le commandant Qutaiba ibn abi Muslim ne pouvait pas continuer les conquêtes militaires en Chine et se contentait d'envoyer un embassadeur à l'empereur lui demandant d'entrer dans l'Islam. Pendant la periode ommeyyade un grand nombre de musulmans chiites se sont enfuis en chine a cause de l'oppression des califes Omeyyades à leur disposition, une autre

mission militaire a été envoyée par Abou Jaafar Al-Mansour à la rescousse de l'empereur de Chine Su Tseng où il a retrouvé son règne après leurs aides.

L'entrée des Arabes et des Omanais à la Chine par la mer était ancienne. Le marchand omanais Obaidullah ibn el Qasim a été le premier. Les Arabes et les musulmans ont pu former de grandes communautés musulmanes dans la plupart des villes de Chine, telles que Khangu, Kantan et Xi'an. Malgré cette forte présence, l'islam ne s'est pas largement répandu en Chine et est resté confiné dans la catégorie des expatriés et des tribus d'origine tatare dans l'ouest du Xinjiang.

المقدمة:

وصل الإسلام إلى الصين في وقت مبكر، فقد دخل مع بداية الدعوة الإسلامية ومنذ عهد النبوة. فبفضل الاتصالات بين العرب ودول جنوب شرق آسيا منها الصين، تنقل التجار والدعاة والفقهاء والوفود السياسية إلى الصين منهم من رجع إلى بلاده، ومنهم من أستقر هناك وشكلوا في مدنها جاليات إسلامية كان لها أثر في نشر الإسلام. فقاموا ببناء المساجد وعلموا اللغة العربية وأثروا الحياة الاقتصادية بالمدن التي استوطنوا بها. ورغم أن الإسلام لم ينتشر بشكل واسع خلال القرون الإسلامية الأولى إلا أن ما هو مؤكد وجد من خلال بعض الشواهد التاريخية التي نقلتها لنا المصادر المكتوبة أو الآثار المعمارية في مختلف المدن الصينية.

كيف دخلت هذه الجاليات إلى الصين بين القرنين الأول والخامس الهجريين؟ هل عن طريق البر؟ أم عن الطريق البحر؟ من هؤلاء الدعاة والفقهاء والتجار والوفود السياسية من العرب والمسلمين الذين جاءوا إلى الصين؟ هل للعلاقات الودية التي كانت قائمة بينهم والصينيين كافية لانتشار الإسلام؟ وما العوامل التي جعلت الإسلام ينحصر في مناطق محددة دون الأخرى؟ ما مدى مساهمة العمانيين في مجال نشر الدعوة الإسلامية بالصين؟

أحاول من خلال هذا البحث أن أصل للإجابة على الأسئلة المطروحة مستعينا بمجموعة من المصادر والمراجع العربية والأجنبية. ومن الملاحظ أن تاريخ الصين في السجلات والوثائق والمراسيم المكتوبة باللغة الصينية مكنتنا الدراسات الغربية والمترجمة من الاستفادة منها علميا، واهمها كتاب بدر الدين الصيني، العلاقات بين الصين والعرب وكتب الغربيين باللغة الفرنسية لكل من رينو ورينودو وشيفر. وزودتنا كتب الرحلة والجغرافيا للرحالة العرب منهم سليمان التاجر والمسعودي بمعلومات قيمة عن الموضوع.

1. البوادر الأولى لنشر الإسلام بالصين (العهد النبوي والراشدي):

كان العرب على معرفة قديمة بالصين، فقد روي عن النبي محمد ﷺ أنه قال: " أطلبوا العلم ولو في الصين"[1]. فهذا الحديث يبين أن الرسول ﷺ قد عرف هذا البلد من خلال الصلات التجارية التي كانت قائمة منذ زمن بعيد، ولا شك أن علم الرسول ﷺ باسم الصين قد جاء من الأخبار المنتشرة في شبه الجزيرة العربية.

ففي عهد مملكة الحيرة ألتقى وفد عربي بوفد صيني أثناء استقبالهم من طرف ملك الفرس كسرى " خسروا برويز" (613-581م) واستنادا إلى كتاب العقد الفريد[2] سأل أكتم بن الصيفي وزملاؤه وفد الصين عن أحوال بلادهم فسمعوا منه وصفا دقيقا.

1 ـــ أورد هذا الحديث النبوي الشريف ابن القيم الجوزية وأعتبره ضمن الأحاديث الموضوعة أو ضعيفا فهو ليس حديثا صحيحا ولكنه حديث "لفظ" مشهور وأسانده ضعيفة كما في المختصر.

2 ابن عبد ربه (أحمد بن محمد): العقد الفريد. تحقبق مفيد محمد قميحة، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت1404ه/ 1983م، ص285

وورد عند المسعودي أن دولة الحيرة كانت لها علاقات مباشرة مع الصين في المجال التجاري وقال: " أن الفرات يصب في البحر الحيني في الموقع المعروف بالمحف حيث توجد فيه سفن جاءت من الصين والهند." [1].

وتذكر بعض المصادر الصينية أن الإمبراطور" وودي" بعث سنة 139 قبل الميلاد " تشانغ تشيان " سفيرا له إلى الممالك في آسيا الوسطى لإقامة روابط ودية معها، وزار في سفريته هذه 36 مملكة صغيرة في المنطقة التي شملت الفرس والعراق، والمبعوث هو قان ينغ بأمر من القائد الصيني " باوشار"[2].

ويذكر المؤرخ الغربي شيفر[3] في كتابه حول بلاد الصين أن الرسول ﷺ قد أخذ المعلومات عن الصين من أفواه تجار اليمن وعمان وبلاد فارس، حيث كانت السفن الآتية من الصين ترسو بموانئ بلدانهم .وقد يكون تحصل على المعلومات من الصحابي الجليل سلمان الفارسي ومن بعض تجار العمانيين واليمنيين والفرس الذين كانت تربطهم علاقات مع بلدان جنوب شرق آسيا.

حسب السجلات الصينية أو المراسيم الرسمية فإن الإسلام دخل الصين في وقت مبكر ومنذ حياة الرسول ﷺ. ورغم صعوبة التصديق بوصول بعض الصحابة رضوان الله عليهم إلا أن الآثار والشواهد التاريخية التي مازالت قائمة إلى اليوم تؤكد هذا الخبر. وتذكر

1 ــ المسعودي (أبي الحسن بن علي) ت 246ه/ 957م: مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج1، ط1، المكتبة العصرية، بيروت، تحقيق كمال حسن مرعي، 1425ه/ 2005م، ص 109

2ــ فهمي هويدي: الإسلام في الصين، مجلة عالم المعرفة، العدد 43، شعبان 1998م، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ص 30.

3- charles shefer 1820-1895: les relations des peuples musulmans avec les chinois , imprimerienationale, paris,1895, p05

الروايات الصينية في وثائق هوى هوى يوان أن في سنة ه/ 638م دخل وفدا من المسلمين يتشكل من ثلاثة أشخاص كان من ضمنهم سعد بن أبي وقاص أستقبله الإمبراطور الصيني وأكرمه إكراما فائقا، وقد يكون سعد وصل إلى عاصمة الصين عن طريق البر (من بخارى) وعاد حسب الرواية الصينية إلى بلاد العرب ثلاثة مرات عن طريق البحر، ورجع للمرة الأخيرة إلى الصين ومعه نسخة من القرآن الكريم وتوفي بمدينة كانتون ودفن بمقبرة مازالت أضرحتها قائمة إلى يومنا هذا[1].

وتذكر الرواية الصينية أن سعد وصل إلى غوانشهو لنشر الإسلام في الصين فوضع الحجر الأساسي لمسجد ومنارة. كما أن سعد بن أبي الوقاص أقام بكانتون وبنى بها مسجدا أطلق عليه مسجد الذكرى أو مسجد شوق النبي وبه جدارية وهي عبارة عن لوحة رخامية ثبتت على واجهته كتب عليها كلمات باللغة العربية تثبت أنه أول مسجد يني في الصين بناه سعد بن أبي الوقاص[2]. ومازالت بمدينة كانتون حديقة بوسطها مقبرة بها خمسين ضريحا منها ضريح لسعد بن أبي الوقاص. وكتابة دونت على شواهدها الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة وعبارات الشفاعة ومما جاء فيها حديث نبوي شريف يقول: " من مات غريبا مات شهيدا." وقد تكون القبور للعرب القادمين من ديار الإسلام.

شكك الكتاب المسلمين في رواية سعد بن أبي الوقاص بوصوله إلى الصين لأنه مات بالمدينة المنورة ودفن بها، أما القبر الذي يعده مسلمو الصين ضريحا له قد يكون لأحد التجار

1 ـ بدر الدين الصيني: المرجع السابق، ص149

2ـ فهمي هويدي: الإسلام في الصين، مجلة عالم المعرفة، العدد43، شعبان 1998م، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ص33.

الأتقياء الذين سكنوا بكانتون واسمه وقاص. ومن الملاحظ أن الرحالة ابن بطوطة[1] ذكره في رحلته كما ذكر المسجد الذي بناه والمقبرة التي دفن فيها .

- **الصحابي حمزة عم (الرسول ﷺ) :**

تذكر الروايات الصينية من خلال السجلات والمراسيم الصينية والتي أوردها الكتاب الغربيين رينودو ورينو وشيفر، في عهد الإمبراطور سنغ كوان سنة9ه/ 632م دخل حمزة عم الرسول ﷺ إلى الصين مع نسخة من القرآن الكريم وكان يصاحبه ثلاثة آلاف من الجند ، كان رجلا متدينا جميل البشرة جميل الأخلاق ، أستقبله إمبراطور الصين تانغ تاني جونغ وأكرم أصحابه جميعا وأبقاهم في العاصمة جانغ آن وبنى لهم فيا جامعا فتكاثر أتباعهم وأتسع نطاق دعوتهم ولذلك أنشئ لهم مسجدان آخران بكينغ تينغ (نانكين حاليا) وكانتون وبها كانوا يقيمون الصلوات ويبحثون في الدين أحكامه[2].

من الملاحظ أن هذه الرواية لم ترد في المصادر العربية لا عند ابن خلدون ولا الإدريسي ولا الطبري أو المسعودي. لا شك أن المسلمين بالصين حاولوا من خلال هذه الروايات بالإضافة إلى المحافظة على الأضرحة لبعض الصحابة[1] ربط تاريخ الإسلام ببلدانهم بعصر

1 ـ ابن بطوطة (عبد الرحمن بن أبراهيم) ت779ه/ 1377م: رحلة ابن بطوطة، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت ،1400ه/ 1980م، ص 634.

2ـ أرنولد توماس: الدعوة إلى الإسلام، ترجمة حسن إبراهيم حسن وعبد المجيد عابدين، مكتبة النهضة المصرية 1971، ص150.

- بدر الدين الصني: المرجع السابق، ص149.

النبوة في عهد دولة تانغ (907-618م) ذلك العصر الذي كان مصدرا خصبا للأساطير في البلاد النائية البعيدة عن مركز التاريخ الإسلامي [1].

2. انتشار الإسلام في عهد الخلفاء الراشدين:

جاء في المصادر التاريخية الصينية أن بلاد العرب أوفدت إلى الصين في عهد مملكة تانغ (907-618م) سبعا وثلاثين بعثة بدءا من عهد عثمان بن عفان. إن اتصال المسلمين بالصين كان في فترة حكم أسرة تانغ وفي عهد إمبراطور قاو تسنغ عام 30ه/ 651م. فحسب السجلات الصينية وفي 25 أغسطس سنة 651م وصل إلى تشايغان شيان عاصمة الصين سفيرا من الخليفة عثمان بن عفان حيث التقى بإمبراطور الصين قاوتشنغ.

وقيل أن الخليفة عثمان بن عفان أرسل أحد قواده ليرافق السفير الصيني في عودته سنة 651م / 30ه، فأكرمه الإمبراطور ورحب به. وما يشد الانتباه أن المصادر الصينية لا تذكر الأسباب التي دعت خليفة المسلمين عثمان بن عفان إلى إرسال وفده للقاء الإمبراطور كعادتها في إبراز " ابن السماء" باعتباره القبلة التي يتوجه إليها الآخرون[2].

يمكن تفسير ذلك من خلال ما ورد في المصادر العربية ، ففي رواية لأبن الأثير[3] في كتابه الكامل في التاريخ جاء فيها أن ملك الصين هو الذي بادر بإرسال مبعوثيه إلى خليفة

1 ـ قوة ينغ ده: تاريخ العلاقات الصينية العربية، ترجمة تشانغ جيامي، ص5.

2 ـ فهمي هويدي: المرجع السابق، ص35.

2 ـ ابن الأثير (أبي الحسن علي بن أبي الكرم) ت 230ه: الكامل في التاريخ، تحقيق أبي الفداء عبد الله القاضي م3، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1407ه/ 1987م، ص 436.

المسلمين. أما الطبري[1] فيذكر أن هزيمة ملك الفرس يزدجرد في معركة نهاوند، أستعان بملك الصين وأرسل له مبعوث لهذا الهدف، وكان رد إمبراطور الصين هو إرسال مبعوثين للبلاد الإسلامية لمعرفة أحوالها ومدى قوتها العسكرية، وعند عودة سفيره أرسل معه عثمان بن عفان مبعوثا والذي قابله ،وهو ما يدل على بداية الصلات السياسية والديبلوماسية بين العرب والصين في العهد الإسلامي.

3. العرب في الصين في العهد الأموي:

بعد الفتوحات الإسلامية للمسلمين في آسيا الوسطى وتوسع حكمهم بهذه المنطقة أصبح الاتصال ببلاد الصين ميسورا ومباشرا. ففي أواخر عهد الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك (86-96ه/ 705-715م) أستطاع القائد العسكري قتيبة بن مسلم الباهلي والي خراسان من فتح مناطق واسعة من آسيا الوسطى في سلسلة من الحملات الناجحة، فدخل بخارى وسمرقند وكاشغر ويارقند وسغط وفرغانة، وواصل زحفه حتى وصل إلى الحدود الشرقية لإمبراطورية الصين. وكان من عادات العرب بعد غزواتهم أن يعرضوا دين الإسلام أو الجزية من أهل البلد التي يغزونها، ولقد فعل قتيبة بن مسلم ذلك مع إمبراطور الصين.

فبعث وفدا مع رسالة منه إلى إمبراطور الصين " وانغ جوانغ " 713- 755م يطلب منه الطاعة أو الجزية[2]. وأورد هذه الواقعة بابن الأثير بقوله:" ففي سنة 96ه/ 715م غزا قتيبة بن مسلم كاشغر وحمل مع الناس عيالهم ليضعهم في سمرقند، فلما عبر النهر رجلا على البعير، ليمنع من يرجع إلا بجوز منه، ومضى إلى فرغانة وأوغل قتيبة حتى بلغ الصين فكتب

1 ـ الطبري (أبي جعفر محمد بن جرير) 224- 310ه: تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط2، م1، دار المعارف بمصر، ص 500.

2 ـ بدر الدين الصيني: المرجع السابق، ص16.

إليه ملك الصين "أبعث إلي رجلا شريفا يخبرني عنكم وعن دينكم" فأرسل قتيبة عشرة من خيرة رجاله وكان منهم هبيرة بن مشرح الكلاني وأستقبلهم ملك الصين وحاورهم، فبعث إلى الخليفة هدية ...".

ويصف الطبري[1] الواقعة بأن الوفد الذي دخل على الملك كان يرتدي ألبسة بيضاء. ورضي قتيبة لما أهداه له إمبراطور الصين ولم يواصل فتوحاته، وقد تكون للظروف السياسية التي كانت سائدة في الخلافة سبب هذا التوقف. فقد تصادف ذلك مع وفاة الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك ومبايعة سليمان والذي أهلك عدد من قادة الإسلام منهم قتيبة، لأن الوليد أشار على الحجاج بن يوسف في عزل سليمان من ولاية العهد وتولية ابنه عبد العزيز مكانه وبذلك ضعف موقف المسلمين في آسيا وتوقفت الفتوحات.

وأهملت هذه السفارة في السجلات الصينية ولم تذكرها وهو موقف متعمد من إمبراطور الصين للسبب الذي ذكرناه سابقا وهو ابن السماء وباعتباره الآمر الأول. وبفضل رواية الطبري وابن الأثير حفظ لنا التاريخ دور قتيبة بن مسلم في نشر الإسلام بآسيا الوسطى وبالولايات الغربية لإمبراطورية الصين. فقد أسلم قوم أويغري أو الأواغرة وهم شعب يتفرع من التتار[2].

وتؤكد روايات أخرى أن حاكم خراسان جراح العماني وفي عهد عمر بن عبد العزيز(99-101ه) أرسل إلى مقاطعة تروكسوكسيان حملة عسكرية لفتح بلاد الصين بقيادة عبد الله بن معمر الشكوري، ولكن هذا الأخير لم يستطيع مواصلة سيره بسبب مهاجمة قبائل تركية له

1 ـ الطبري: المصدر السابق، ج6، ص500-506.

2 ــ فهمي هويدي: المرجع السابق، ص38.

ومنعته من التوغل إلى داخل الأراضي الصينية وأجبر على الرجوع مع دفع غرامة مالية كبيرة[1].

وفي سنة 108ه/ 726م بعث الخليفة هشام بن عبد الملك إلى أمبراطور الصين هزوان تسنغ سفيرا يدعى سليمان حسب كتاب سليمان التاجر السيرافي[2].

وجاء عند ابن سعيد الأندلسي في كتابه " الجغرافيا" [3]هروب مجموعة من الشيعة لإحدى الجزر الصينية الموجودة في آخر الإقليم الثاني والذي به مدينة خانقو أو كانتون فيقول: " وفي آخر هذا الجزء مدينة خانقو وهي مذكورة في الكتب وموقعها على الإقليم الثاني . وآخر المعمورة جزيرة العلويين كان بنو أمية قد بعثوهم إلى ملك ملك الصين وأخبره أنهم أهل جرائم أقتضت إبعادهم، فلما حضروا عنده أخبره أنهم من بيت النبوة فقال يحملون إلى الجزيرة في آخر صين صين، وهي كثيرة الأفاعي القتالة فإن كان كما زعموا لم تضرهم وإن قتلتهم أستريح منهم، فحماهم الله منها وسكنوا تلك الجزيرة وتناسلوا قال البهدمي ومنهم معظم أشراف العجم".

فقد يقصد بالعلويين هم الشيعة المعارضة لبني أمية حول مسألة الخلافة ولذلك لاحقهم خلفاؤهم منذ عهد يزيد بن معاوية، وبعد مقتل الحسين بن علي في معركة كربلاء. أما الجزيرة لم يحدد موقعها وقد تكون في إحدى روافد أحد أنهار الصين أو بجزيرة قريبة من مدينة خانقو أو كانتون.

.1 shefer : ibid , p 6.

2 ــ سليمان التاجر وابن أبي زيد حسن السيرافي: أخبار الصين والهند، تحقيق يوسف الشاروني، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1487ه/ 1991م، ص40.

3 ــ ابن سعيد المغربي (أبي الحسن علي بن موسى) ت610ه/ 1214م: كتاب الجغرافيا، تحقيق إسماعيل العربي، ط2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982، ص122.

ويذكر المستشرق شيفر[1] أن سادة من الأشراف أهل الرسول ﷺ سكنت مناطق داخل الصين كانت تقوم بدور الوساطة التجارية بين الأجانب والصينيين. وهؤلاء هم أحفاد علي ﷺ لجأوا إلى مناطق بعيدة عن بلدهم الأصلي، وحدد الموقع الذي وجدوا فيه قرب مدينة "تشن" وهي جزيرة صغيرة داخل النهر. إن هؤلاء سافروا من خراسان ولاحقهم الأمويون فدخلوا الأراضي الصينية وتوقفوا بإحدى الجزر وأستوطنوا بها. وفيها أندمجوا في المجتمع الصيني فتعلموا اللغة الصينية وأصبحوا وسطاء بين تجار الدول الأجنبية وملك الصين.

ويذكر المروزي[2] أن الشيعة العرب الهاربين من خراسان كان سبب هروبهم بطش حكام بني أمية، ووصلوا إلى الصين قبل القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي.

4. دور العرب في نشر الإسلام بالصين في العهد العباسي:

أزدادت الاتصالات بين العرب والصين في مختلف المجالات فأزداد معها تدفق المسلمين على بلاد الصين ومحولاتهم لنشر الإسلام والدعوة الإسلامية هناك. ومن أبرز الأحداث التي ميزت هذه المرحلة التاريخية كان سنة 138ه/ 756م. ففي عهد الإمبراطور هان وان تسنغ حدثت فتنة حول الحكم حين طرده أحد المعارضين من عرشه فتنحى لإبنه سو تسنغ، وللحفاظ على عرشه طلب هذا الأخير النجدة من الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور، وأجابه الخليفة بأن أرسل إليه قوة عسكرية عربية قيل أن عددها كان يضاهي أربعة آلاف جندي نجح بفضل مساعدتهم في استرجاع عرشه وعاصمته هو ننفو من أيدي أعدائه الثوار. وبعد نهاية الحرب لم ترجع هذه القوات العربية إلى بلادها بل تزوج أفرادها

1. shefer :ibid, p6 .

2 ــ أغناطيوس بوليانوفيتش كراشكوفسكي : تاريخ الأدب الجغرافي العربي ، ترجمة صلاح الدين عثمان ، مراجعة إيفور يليانف ، القسم الأول ، الإدارة الثقافية في الجامعة العربية ،1957 ، ص 42 .

من الصينيات وأستقروا بالصين. ومما ساعدهم على البقاء هي الامتيازات التي منحها لهم إمبراطور الصين، فقد كانت تدفع لأسر المسلمين خمسمائة أوقية من الفضة كل سنة مكافأة لهم على نجدتهم لإمبراطور الصين سو تسنغ من أسرة تانغ الحاكمة. ويقال أنهم من أحفاد قتيبة بن مسلم فاتح كاشغر[1].

إن هذه الحاثة التاريخية ورغم أهميتها وردت في السجلات الصينية ونقلها لنا المؤرخين الغربيين ولم تذكر ك في المصادر العربية لا عند الطبري أو المسعودي. كما أن الجيش الذي أرسله أبو جعفر المنصور قد ضم في صفوفه بالإضافة إلى العرب الأواغرة والفرس.

وترجح روايات تاريخية[2] أن أفراد البعثة العسكرية رجعوا إلى بلادهم ولكنهم لم يسمح لهم بالبقاء بحجة أنهم مكثوا مدة طويلة في بلاد تأكل لحم الخنزير ولذلك عادوا إلى الصين. وتقول رواية أخرى أنهم كانوا يعيشون في مدينة كانتون ولكن عيَرهم الناس خاصة الجالية الإسلامية هناك بأنهم أكلوا لحم الخنزير أثناء الغزو، وعلى إثر ذلك رفضوا أن يعودوا إلى وطنهم لكي لا يعرضون أنفسهم للخطر لاتهامهم من قومهم[3].

5. دور التجار العمانيين والعرب في نشر الإسلام بالصين

إن اتصال العرب بالصين عن طريق البحر بدأ في وقت مبكر وأن وصول الإسلام عبره كان أحسن من الطريق البري. وكان تجار عمان أول من وصلوا إلى موانئ الصين. فأول عربي مسلم يبحر من المحيط حتى وصل إلى خليج كانتون ثم عاد إلى بلاده هو أبو عبيدة بن

1 - philibert dabry de thiersant 1826-1898 : le mahométisme en chine et dans le turkestan oriental,ernest leroux,paris,1878,t2,p40 .

2 ـ بدر الدين الصيني: المرجع السابق، ص39-40.

3 ــ قو ينغ ده: المرجع السابق، ص2.

القاسم خلال القرن الثاني للهجرة / الثامن الميلادي. وهو تاجر عماني وصل قبل نهب كانتون سنة 758م[1].

وتوالت هجرة تجار عمان بعد ذلك فقد أورد سليمان التاجر أن تاجر الإباضية أصله من عمان وكان يعيش بالبصرة اسمه النضر بن ميمون سافر إلى الصين في أواخر القرن الثاني للهجرة / القرن الثامن الميلادي [2].

ولم تغفل الوثائق الصينية من ذكر أحد الأتقياء الصالحين العماني عبد الله الصحاري الذي لقبه الإمبراطور الصيني سون شين زون " بجنرال الأخلاق الصينية". ومما جاء أيضا في هذه الوثائق ثراء الشيخ عبد الله الذي طلب من حكومة الصين آنذاك السماح له بالتبرع لترميم أسوار مدينة قوانتشو التي يقيم بها قبل أن يغادرها عام 1072م عائدا إلى عمان ، وقد قدم له الإمبراطور الصيني سون شين زون هدايا عبارة عن حصان وطاقم سرج وزمام خيل وهذا يدل على قوة العلاقة الودية التي للشيخ عبد الله الصحار وإمبراطور الصين في تلك الفترة [3].

وحسب رواية وردت عند أبا علي التنوخي صاحب كتاب نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة أن أحد التجار أنه لاحظ كثرة تردد أهل عمان والعرب على مدينة كانتون بكل بساطة حتى أن أحد الشحاذين رآه بالأبله وبعمان ولما دخل إلى الصين لاحظ نفس الشخص فقال له: "ويحك، سائلا بالصين؟ فقال له : قد دخلت هذا البلد (يقصد كانتون) ثلاث دفعات

1 ــ أغناطيوس بوليانوفيتش كراشكوفسكي : تاريخ الأدب الجغرافي العربي ص143 .

2 ــ سليمان التجر وأبي زيد السيرافي: المصدر السابق، ص16.

3 ـ شتان غزون يان: الإتصالات الودية المتبادلة بين الصين وعمان عبر التاريخ، ص30.

وهذه الرابعة لطلب المعيشة فلا أجدها إلا من الكدية (الشحاذة) فأرجع إلى الأبلة (يقصد مدينة عبدان) ثم أرجع ههنا"[1].

وحفظ لنا ياقوت الحموي[2] في كتابه معجم البلدان ثلاث شخصيات من التجار العرب سكنوا بالصين وهم :

- إبراهيم بن إسحاق، أصله من الكوفة، سكن وسط الصين، وكانت له تجارة رائجة وأطلق عليه اسم الصيني.
- أبو الحسن سعد الخاني الأنصاري، ولد بالأندلس، رحل من المغرب إلى الصين، كان قاضيا، له ذكاء خارق، كانت له ثروة مالية، درس العادات والتقاليد الصينية بإشراف قائده أبو الخطاب بن بشر، توفي سنة 541ه/ 1116م.
- أبو عمر حميد بن محمد الشيباني المعروف بحميد الصيني، عرف بدراسته حول التقاليد، وأطلق عليه اسم الصيني ربما لرحلته الطويلة بالصين.

وأزداد عدد المسلمين بفضل التجارة في معظم مدن سواحل الصين الغربية حتى أطلق عليهم أحد المؤرخين الصينيين بالطوفان، حيث أدخلوا معهم كتبهم المقدسة ويقصد به القرآن الكريم، وخصص لهم الإمبراطور ترجمان خاص لقراءتها والتعليق عليها. وتشير تواريخ مملكة تانغ (907-618م) أن أول من جاء من المسلمين إلى الصين وفد على مدينة كانتون وفدوا إليها من مملكة أنام ومدينا ويقصد المدينة المنورة، أعطت هذه التواريخ وصفا دقيقا لسلوك المسلمين الذين سموهم بالغرباء فكانوا يعبدون الله وليس في معابدهم تمثال ولاصنم ولا صورة وديانتهم تختلف عن ديانة بوذا، لا يأكلون لحم الخنزير ولا يشربون

1 ـ فهمي هويدي: المرجع السابق، ص15.

2 ـ ياقوت الحموي (شهاد الدين بن عبد الله): معجم البلدان، ج3، دار صادر 1993، ص 444.

الخمر ويطلق عليهم اسم هوى هوى، وحصلوا على إذن من الإمبراطور للإقامة في كانتن فبنوا بها دورا جميلة لا تختلف في معمارها عن التي توجد ببلادهم، وكانت لهم ثروة عظيمة ودانوا الطاعة لرئيس منهم. وبفضل التجار العرب والعمانيين تكونت جالية إسلامية كبيرة تتحكم في معظم المدن الساحلية الصينية منها مدينة خانقو أو كانتون. فسليمان التاجر[1] يذكر أن بخانقو مجتمع من التجار المسلمين، فيه رجلا مسلما يوليه صاحب الصين للحكم بين المسلمين الذين يقصدون إلى تلك الناحية. وإذا كان العيد صلى بالمسلمين وخطب ودعا لسلطان المسلمين، وأن التجار العراقيين (يقصد بهم العرب) لا ينكرون من ولايته شيئا من أحكامه وعمله وبالحق وأحكام الشريعة الإسلامية. وذكر سليمان التاجر في موضع آخر أن أكثر السفن الصينية تحمل من سيراف وأن السلع تحمل من البصرة وعمان وغيرها إلى سيراف ...والمسافة بين البصرة وسيراف مائة وعشرون فرسخا، وتدخل السفن الصينية إلى مسقط وفيما بين سيراف و مسقط من البلاد سفن بين الصفصاف وجزيرة أيوركاوان، وفي هذا البحر جبال عمان وبها الموضع الذي سمي الدردور"[2].

وكان للتجار العرب والمسلمين بصفة عامة حرية الانتقال من بلد لآخر في داخل الأراضي الصينية كما كانت لهم حرية الإقامة بأي مرفأ في الموانئ الصينية. ولخوفهم من الوقوع في الخطر وتأمين أموالهم وأنفسهم كانت الحكومة الصينية قد وضعت قانونا خاصا يقضي بتسجيل المسافرين في داخل حدود الصين وما معهم من الأمتعة والأموال، وقانون

1 ـ سليمان التاجر وأبي زيد حسن السيرافي: المصدر السابق، ص37.

2 ـ نفسه، ص23.

آخر يتضمن مراقبة الفنادق لجميع المدن ، فكانت الحكومة الصينية ساهرة على حفظ أموال الأجانب وحياتهم والعناية براحتهم وتأمينهم إذا أنتقلوا من مدينة لأخرى [1].

ومن أثر هذه السياسة تكونت بالصين جاليات إسلامية كبيرة خاصة من العرب فكان منهم من جاء من عمان ومن اليمن ومن العراق كما أسلفنا ذكره. وسمح حكام الصين لهم من تنظيم أنفسهم فكان لهم نظام خاص بهم، ذكره سليمان التاجر في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي وابن بطوطة بعده في القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي. وكان العديد من أهل المدن التي يقيمون بها يتكلمون اللغة العربية. ولم يقتصر عمل المسلمين والعرب على التجارة فقط في بلاد الصين بل أرتقوا أيضا الوظائف العالية، وعرف عنهم الصدق في المعاملة وسهولة الأخلاق وقوة البأس. ورغم الامتيازات التي نالوها فكانت ثمة عقود أخرى تفرض عليهم عند عودتهم إلى بلدانهم منها تسجيل أسمائهم عند مفتش البحارة وهو صيني وكان هذا الأخير يفحص بيانات شحنهم ويجمع منهم الضرائب ويحرم عليهم تصدير السلع النادرة.

6. الرحالة المسلمون بالصين وما ذكروه عن العرب بالصين:

دخل بلاد الصين عدد من الرحالة المسلمين وبفضلهم حفظ لنا التاريخ الوجود العربي في الصين بين القرنين الأول والخامس الهجريين/ السابع والحادي عشر الميلاديين وهي فترة مبكرة بعد ظهور الإسلام. والهدف من الإشارة لهؤلاء هو دليل تاريخي على الاتصالات القوية بين العرب والصين مما مكن من نشر الإسلام مع بداية ظهور الدعوة الإسلامية.

1 ـ محمود قمر: دور البحرين في الملاحة والتجارة والبحرية من صدر الإسلام حتى سقوط الخلافة العباسية، ط1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، 1997م، ص 86.

- **المسعودي:** ذكر في كتابه مروج الذهب[1] المدن التي دخلها وكذلك أسماء التجار من البصرة وعمان ، منهم تاجر من البصرة أصله من عمان دخل كنفو وهو الميناء الرئيسي للصين ومنه يدخلون إلى العاصمة حمدان أ كمدان ويقصد بها مدينة شيان. ومن التجار الذين عرفهم أبو زيد محمد ابن يزيد وهو من التجار الكبار دخل الصين سنة 303ه/ 915م.

ومما ذكره عن مدينة خانقو بأنها مدينة عظيمة تقع على نهر عظيم أكبر من دجلة يصب إلى بحر الصين، تدخل هذا النهر سفن التجار الواردة من بلاد البصرة وسيراف وعمان ومن الهند .... وغيرها من الممالك بالأمتعة والجهاز، وتقرب إلى خانقو، وفيها خلائق من الناس مسلمون ونصارى ومجوس وغير ذلك من أهل الصين.

ويشكك كثير من المستشرقين[2] في روايات المسعودي ويعتبرونها وهمية لأن التاجران اللذان ذكرهما لم تطأ أقدامهما الصين كذلك تغير أسماء المدن والتشويه الذي أصاب هذه الأسماء فمدينة حمدان في الحقيقة تحمل اسم شانغ غان وقد تكون مدينة نانكين .وقد يكون المسعودي أخذ المعلومات من أبي يزيد السيرافي صاحب كتاب أخبار الصين والهند، يذكر في كتابه مروج الذهب أنه التقى به في مدينة حمدان.

- **سليمان التاجر**: وهو صاحب كتاب أخبار الصين والهند والذي سماه البعض بسلسلة التواريخ. عاش خلال القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي، زار الصين ونقل لنا رحلته. وأضاف أبو زيد السيرافي معلومات للكتاب أخذها من أفواه التجار والمسافرين المسلمين لبلاد الصين. وقد يكون القرشي وهب بن منبه هو الذي زود هم بالمعلومات.

---

1 ـ المسعودي: المصدر السابق، ص 113.

2. eusebe renaudot 1646-1720 : anciennes relations des indes et de la chine, cognard imprimeur ordinaire du roi, paris, 1718,p268 .

فخلال رحلته بالصين أستقبله إمبراطور الصين في العاصمة حمدان (شيان) ومن المناطق التي زارها سليمان التاجر مدينة خان التي تقع في مقاطعة تشي كيانغ، وخان عبارة عن ميناء في هوانغ تشو كان المسلمون يتوافدون عليها كثيرا ويقيمون بها صلاة الجمعة بمسجده، ويدعون للخليفة العباسي. وبفضل زيارته لعدد من المدن الصينية منها مدينة خانقو نقل لنا حياة المسلمين بها خاصة التجار[1].

نستنتج مما ذكر أن الإسلام في الصين كان محصورا في مناطق محددة بين القرنين الأول والخامس الهجريين / السابع والحادي عشر الميلاديين. فبالرغم التواجد الكبير للمسلمين من عرب وغيرهم إلا أن الإسلام لم ينتشر بسرعة. لقد ساهمت عدة عوامل ثقافية وسياسية واجتماعية منها:

- تمسك الصينيين بالديانة الكنفوشوسية حيث رأوا أن كثير من القيم الأخلاقية مثل الأمانة والصدق والصبر والمعاملة السنة والتي جاء بها الإسلام تتشابه بما ورد في ديانتهم.
- أما العامل الثاني هو كثرة تحفظ الصينين من الأجانب ورأينا في البحث أن مراقبة التجار المسلمين كانت شديدة حيث يسجلون في بيانات عند دخولهم وخروجهم.
- ربما كان البعد عن مركز الخلافة الإسلامية والعالم الإسلامي ساهم في عدم انتشار الإسلام بشكل واسع كبقية البلدان التي وصلها خلال هذه الفترة.

لقد دلت المصادر التاريخية المكتوبة العربية والصينية أن التواجد العربي من ضمنه العماني كان كثيفا وحقيقة علمية لا يمكن إنكارها. فالجاليات الإسلامية كانت تعيش في مختلف المدن الصينية خاصة الساحلية مثل كانتن مثل ما لاحظ ذلك سليمان التاجر

1. gabriel ferrant : voyage du marchant arabe , sulyman en inde et en chine, edition bossard,paris ,1922, p 20.

والمسعودي في رحلتهما. حيث كان أثرها واضحا تجلى إقامة أحياء إسلامية خاصة بها، توجد بها المساجد والمقابر الإسلامية، كما تنتشر بها اللغة العربية.

ساهم العمانيون مساهمة فعالة في نشر الإسلام بالصين، فأول تاجر عربي دخل كانتن من عمان واسمه أبو عبيدة عبد الله بن القاسم سنة 750م وتبعه آخرون منهم الإباضي النضر بن ميمون والتاجر الثري عبد الله الصحاري.

فخلال ما ذكر في البحث أن أكثر الكتابات عند الصينيين أو العرب ذكرت الوجود الإسلامي في عهد أسرة تانغ. وأن الإسلام لم يكن منتشرا إنتشارا واسعا في المجتمع الصيني وإنما كان محصورا في الوافدين من البلاد العربية منه عمان سواء كان هؤلاء من التجار أو من البعاث العسكرية والسياسية مثل بعثة قتيبة والمنصور. فقد أستوطن معظمهم بالمدن الصينية. ولم تشير هذه الكتابات إلى الصينيين الذين دخلوا للإسلام عن قناعة. ويمكن تفسير هذه الظاهرة للأسباب السالفة الذكر.

قائمة المصادر والمراجع

1- ابن الأثير (أبي الحسن علي بن أبي الكرم) ت 230هـ: الكامل في التاريخ، تحقيق أبي الفداء عبد الله القاضي م3، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1987م.

2- ابن بطوطة (عبد الرحمن بن أبراهيم) ت779هـ/ 1377م: رحلة ابن بطوطة، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت ،1400ه/ 1980م

3- ابن عبد ربه (أحمد بن محمد): العقد الفريد. تحقيق مفيد محمد قميحة، ط1 دار الكتب العلمية، بيروت 1404ه/ 1983م.

4- ابن سعيد المغربي (أبي الحسن علي بن موسى) ت610ه/ 1214م: كتاب الجغرافيا، تحقيق إسماعيل العربي، ط2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982.

5- أرنولد توماس: الدعوة إلى الإسلام، ترجمة حسن إبراهيم حسن وعبد المجيد عابدين مكتبة النهضة المصرية 1971

6- أغناطيوس بوليانوفيتش كراشكوفسكي: تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ترجمة صلاح الدين عثمان، مراجعة إيفور يليانف، القسم الأول، الإدارة الثقافية في الجامعة العربية ،1957.

7- بدر الدين مي الصيني: العلاقات بين العرب والصبن، ط1، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1370ه/ 1950م.

8- سليمان التاجر وابن أبي زيد حسن السيرافي: أخبار الصين والهند، تحقيق يوسف الشاروني، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1487ه/ 1991م.

9- الطبري (أبي جعفر محمد بن جرير) 224- 310ه: تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط2، م1، دار المعارف بمصر.

10- فهمي هويدي: الإسلام في الصين، مجلة عالم المعرفة، العدد43، شعبان 1998م، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت.

11- محمود قمر: دور البحرين في الملاحة والتجارة والبحرية من صدر الإسلام حتى سقوط الخلافة العباسية، ط1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، 1997م.

12- المسعودي (أبي الحسن بن علي) ت 246ه/ 957م: مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج1، ط1، المكتبة العصرية، بيروت، تحقيق كمال حسن مرعي، 1425ه/ 2005م.

13- ياقوت الحموي: (شهاب الدين بن عبد الله) معجم البلدان، دار صادر،1397ه/ 1987م.

المقالات التاريخية:

-قو يتغ ده: تاريخ العلاقات الصينية العربية، ترجمة تشانغ جيامن، الباب الثاني، ص1-.5

المراجع الأجنبية:

1-gabriel ferrant : voyage du marchant arabe , sulyman en inde et en chine, edition bossard,paris ,1922

2- charles shefer 1820-1895: les relations des peuples musulmans avec les chinois, imprimerienationale, paris,1895,

3- eusebe renaudot 1646-1720 : anciennes relations des indes et de la chine, cognard imprimeur ordinaire du roi, paris, 1718, p

4- philibert dabry de thiersant 1826-1898 :le mahométisme en chine et dans le turkestan oriental,ernest leroux,paris,1878,t2,

Josephe-toussaint reinaud 1795-1867 : relation des voyages (fait par les arabes et les persans dans l,inde et la chine dans le 9eme siecle) ,t2, imprimerie royale, paris,1845

Marco polo : voyage,revisé par edouard charton,t2, paris,1863,p